# القصيدة الشعبية والثورة النوفمبرية بين المعالجة الآنية والمعالجة البَعدية
## – دراسة تطبيقية حول معالم الاختلاف–

**د. مليكة صياد**

مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف – المسيلة،
malika.sayad@univ-msila.dz

**تاريخ الإيداع:** 2025/05/20 **تاريخ المراجعة:** 2025/05/20 **تاريخ القبول:** 2025/10/08

**ملخص**

*لا أحد ينكر ما قدمته القصيدة الشعبية وما تزال تقدمه للتراث وللإنسانية ماضيا وحاضرا ومستقبلا؛ كونها طرقت كل الموضوعات التي تهم الإنسان دون أن يشكل عليها أحدها، لكن العلامة الفارقة في القصيدة الشعبية الجزائرية هو احتضانها للثورة النوفمبرية، هذا الاحتضان الذي يطرح عدة علامات استفهام تحتاج إلى التقصّي الدقيق والفحص العميق؛ ذلك أن الحديث عن الثورة زمن الثورة ردّ فعل طبيعي ومسايرة للراهن، لكن استدعاءها بنفس القوة والزخم بعد مرور اثنين وستين(62) عاما عن الاستقلال يدعو إلى التساؤل: لماذا تحضر الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي المعاصر بكل هذا الألق؟ وما الذي اختلف؟ طريقة الاستدعاء؟ أم الأسباب؟ أم الغايات؟ هل اكتفت الثورة بالحضور تخليدا للذاكرة أم أن للشعر الشعبي المعاصر طروحاته؟*

***الكلمات المفاتيح: قصيدة شعبية، ثورة نوفمبرية، معالجة آنية، معالجة بَعدية، معالم اختلاف.***

## *The Popular Poem and November Revolution: Between Real-Time and Post-Processing*
## *An Applied Study About the Features of Difference –*

***Abstract***

*The Algerian popular poem has continuously engaged with diverse human themes, yet its defining characteristic remains its enduring connection to the November Revolution. Even sixty-two years after independence, the revolution persists as a central motif in contemporary poem. This compels us to ask: why does the Algerian Revolution resonate so vividly in the contemporary popular poem? What has changed? Is it a manner of invocation, the motives, or the objectives? Has the revolution merely been memorialized as an act of remembrance? or does contemporary popular poem advance its own propositions?*

***Keywords: Popular poem, November revolution, real-time processing, post-processing, features of difference.***

**المؤلف المرسل:** د. مليكة صياد، malika.sayad@univ-msila.dz

**مقدمـــة:**

يهدف هذا المقال إلى إجراء دراسة موازنة حول حضور الثورة في القصيدة الشعبية بين زمنين مختلفين: زمن الاستعمار وزمن الاستقلال، بيد أنه سيركز على القصيدة الشعبية المعاصرة، قصد رصد اختلاف الرؤى، وآفاق الطَّرق.

ما يلاحظ على القصيدة الشعبية أنها لم تحظ بمصطلح واحد؛ فهي الزجل، والقصيدة العامية، والملحون، والقصيدة الفولكلورية، حيث نجد في الدراسات التي تناولت القصيدة الشعبية: «عدة تسميات منها: "الزجل"، و"الملحون"، و"الشعبية"، وأكثر هذه المصطلحات شيوعا عندنا "الشعبي" الذي هو إبداع شفهي ونمط من أنماط الثقافة الشعبية الذي ظهر منذ القديم في أقطار المغرب العربي»[1]. ولم تحظ كذلك بمفهوم واحد: «ولئن تناول الباحثون الأشكال الشعبية بالتعريف والدراسة، فإن الشعر الشعبي لم ينل حظه من الدراسة والتجنيس على الرغم من أهميته في رصد الأحداث والوقائع الاجتماعية وسلطته الاجتماعية والثقافية وشهرة مبدعيه»[2]. كما لم تحظ القصيدة الشعبية بما يكفي من الاهتمام؛ إذ عوملت دائما بالازدراء والاحتقار بالمقارنة مع الشعر الفصيح، أضف إلى ذلك كله أنها لم تحظ بالتدوين الدائم بحكم دائرة انتشارها، وطبيعة تداولها؛ إذ يتم تداولها في الأغلب بين العامة الذين لا يجيدون القراءة والكتابة.

لكنها رغم كل هذه الصعوبات استطاعت أن تفرض نفسها في الماضي والحاضر، وأن تتواجد في أحلك الظروف، أن ترافق الإنسان، أن تشكل قلبا نابضا يحمل من المعاني والوعي ما يدفعك للتوقف عنده مليا، متأملا، مستمتعا ومعتبرا.

لقد كانت القصيدة الشعبية سابقا تنتشر أكثر بين طبقة الأمّيين ومحدودي التعليم، ويبدعها أمّيٌّ كذلك، لكنها اليوم تنحو منحى آخر؛ إذ اتسعت دائرة انتشارها وامتدت إلى فئة المثقفين والمتعلمين ونخبة المجتمع من أساتذة وباحثين أكاديميين.

ولقد رافقت القصيدة الشعبية الشعب الجزائري في كل مراحله التاريخية من الدخول الإسباني، إلى الانتداب العثماني، إلى الاستعمار الفرنسي، وغيرها، وتركت سجلا حافلا بالمآثر التاريخية:« إن الباحث في تاريخ الجزائر يلفت انتباهه حضور نصوص الشعر الشعبي في كثير من المحطات التاريخية المهمة التي تحتفظ الذاكرة الوطنية الرسمية بشهادات موثقة عنها، وهذا يعني أن الشعر الشعبي لم يكن فقط وسيلة أدبية للتعبير عن المكنونات والعواطف، بل كان أيضا وسيلة لتسجيل الأحداث التاريخية والتعبير عنها، من خلال النصوص التي تضمنت سرد الأحداث، أو تصويرها تصويرا فنيا يختلف من شاعر لآخر»[3] وخير مثال على ذلك قصيدة "قصة مزغران" للشاعر "سيدي لخضر بن خلوف" التي أرّخت للحرب الدائرة بين الجزائر والإسبان، وغيرها كثير، وما زالت القصيدة الشعبية رفيقة للشعب الجزائري اليوم وهو يرفل في نعيم الاستقلال مسجلة إنجازاته وانتصاراته.

بيد أن الثورة الجزائرية حظيت باهتمام من نوع خاص؛ إذ كان لها وقعها المميز، ورونقها الأخاذ، لقد كانت علامة فارقة في حياة الشعب الجزائري، وفي حياة القصيد الشعبيّ بحضورها القوي زمن المقاومة والاستعمار، وحضورها بنفس القوة زمن الاستقلال والحرية.

لكن ما الذي اختلف بين قصيدة شعبية تناولت الثورة في زمن الثورة وبين قصيدة شعبية تناولت الثورة في الزمن المعاصر؟

إن القارئ للقصيدة الشعبية الثورية التي قيلت زمن الاستعمار والقصيدة الشعبية الثورية التي تقال حاليا يرى بونا شاسعا في أمور عديدة وهو ما سنحاول توضيحه في هذه الدراسة.

**1- القصيدة الشعبية والمعالجة الآنية للثورة التحريرية:**

لقد أثبت التاريخ الشفاهي، والمدون في وقته، والمدون فيما بعد أن القصيدة الشعبية لم تغب عن أي مرحلة من مراحل الثورة المباركة: «ولهذا يمكن اعتبار الشعر الشعبي سجلا تاريخيا؛ فقد سجل أدق التفاصيل عن تاريخ الجزائر التي ربما لا نجدها حتى في كتب التاريخ وخاصة فيما تعلق بالثورة التحريرية، فقد كان الشاعر الشعبي جنديا من جنودها؛ يسجل مآثرها ويدعو إلى مؤازرتها مترنما بشعره في الأسواق والمناسبات واتخذ بذلك دوره الإعلامي، بل والتحفيزي أيضا؛ إذ حفز للثورة والمقاومة»[4]. لقد كان الحديث عن الثورة التحريرية في زمنها بالنسبة للشاعر الشعبي بمثابة أداء الواجب تجاه وطنه، ومؤازرة لإخوانه المجاهدين والثوار، يُبلغ الرسائل، ويشجع، ويدعم ويواسي، فهو يكتب القصيدة حسب ما تستدعيه الحاجة، وكانت النفوس تتلقاها بصدور رحبة، وتتناقلها الشفاه، وتدور بين المعنيين بها، مرحبين ومرتاحين لهذا الدعم المعنوي الذي كانوا بأمَسِّ الحاجة له، وكذا الدور الإعلامي المميز، حيث تبلغ الرسائل بعيدا عن أعين المستعمر–الذي لم ينتبه إلا مؤخرا وأصبح بالمرصاد للشعراء الشعبيين الثوريين– ومن مميزات القصيدة الشعبية الثورية زمن الاستعمار ما يلي:

**1-1- واقعية التصوير:**

لقد انطلقت القصيدة الشعبية في مرحلة الثورة من تصوير واقعيّ للأحداث؛ لأن الشاعر الشعبي في تلك الفترة كان إما مشاركا في الأحداث، أو شاهد عيان عليها، فكانت قصيدته تأتي مشبعة بتواريخ مضبوطة، ووقائع فعلية، وحقائق يقينية، ما جعل المؤرخين فيما بعد يعتمدونها كوثائق تاريخية، ومصادر موثوقة لرواية التاريخ، وفي الاستشهاد على ما أُسقط عمدا أو سهوا من الدراسات التاريخية، وفي إضاءة ما طمسته أيادي المستعمر وفي تعديل ما زيفته، حيث لم يكن الشاعر ساعتها ينطق عن الهوى، أو يسرد مقاطع من وحي خياله، بل كان يسرد ما حدث بالفعل، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكننا سنسوق منها واحدا فقط:

«الكافر علينا جار وادهم للدار جا فوق ليـــــشار ويعـــــــمر فينـا
الخلقة قاع بكـــات طـــلعـونا للكوات وفرنسا سركلات لا خبر يجينا
هربنا للوديان هاجرين الطرقان والحالة تشـــيان والمعـــــــيشة مرة
جاتنا لاجوغوار تطلق في النيران تصيد على الأبطال حرقت غابتنا»[5].

**1-2- الإلمام بالتفاصيل:**

يلاحظ المتمعن في القصائد الشعبية التي قيلت عن الثورة زمن الثورة الكم الهائل من التفاصيل والحيثيات الدقيقة التي تحتويها؛ سواء في وصف المعارك، أو أماكن حدوثها، أو الآلات الحربية، أو بشاعة التعذيب الذي تعرض له المواطنون على أيدي العساكر الفرنسيين، أو في صبر المواطنين ومعاناتهم، وذكر أسماء المجاهدين: «تصف لنا القصائد أماكن المعارك، وذخائرها، وتداعياتها على العدو المستعمر بالهوان والخسران، وعلى الشعب الجزائري بالانتصار والفرح»[6] ما يجعل القارئ يشعر وكأنه أمام صور مرئية متحركة، وكأنه يعيش تلك اللحظات، فذكر مثل هاته الدقائق والتفاصيل قد لا يتوفر لشاعر لم يعايش هذا الواقع، وإن توفر لن يكون بهذه الدقة المتناهية ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

« صَبَّاطي مْعَبِّي مُسْمَار والبُوط حَارِق رِجْلَي

لولاد بايتيـــــــن بْلَاش والصَّبا مالحا دونيا» [7].

فبعض الأحداث، وبعض المشاعر، لا يمكن وصفها دون معايشتها أو الإحساس بها، حتى وإن سمعت عنها أو رُويت لك؛ لأنها تحتاج إلى اختبارها بالفعل، وأن تكون معنيا بها بصورة مباشرة، فالذي لم يجرب ارتداء "البوط" وهو حذاء من البلاستيك في أيام الحَرّ لن يعرف حجم الحريق الذي يسببه، والذي لم ير الآلات الحربية أمام باب بيته لن يعرف حجم الخطر المروع، والتهديد والألم الفظيع الذي شعر به صاحب البيت

« ليشار قدام الـــــدار
والسلسلة توزن قنطـــار
لا قدمنا شعلت النار
ولا وخرنا هذاك العار»[8].

وبالتالي لن يتساوى ناقل التجربة المعاشة وناقل التجارب غير المعاشة، في إحدى القصائد يؤكد الشاعر على أهمية الحضور، والرؤية بأم العين، لأنها وحدها كفيلة بوصف ما وقع:

« يا الحاضر في يوم الكاف ما صرى على المناصير لي ماتوا مقتلين
ما عتاه نهار يشيـــــب لـــــــــغراب ما بين الكفرة واللي مشهديـــن
من الصـــــبح للمسى البـــــارود ينقلى ومع العشية صدوا الكافرين»[9].

فمن حضر الواقعة ويعرف جيدا ما حدث، ويعرف حجم الخسائر البشرية والأرواح التي سقطت فداء للوطن والحرية، سيكون ألمه بلا شك كبيرا، وجرحه غائرا وعميقا، سينزف قلبه لهول ما رأى من جرائم ترتكب في حق إخوانه وأبناء وطنه.

**1-3- الالتزام بموضوع الثورة:**

كانت القصيدة الشعبية زمن الثورة عندما تتطرق لموضوع هذه الأخيرة لا تخرج عنها، من بداية القصيدة حتى نهايتها، ومهما كان عدد أبياتها، ذلك أنها شغلهم الشاغل، وحديثهم اليومي، واهتمامهم الأول، وآسرة لبهم، ومالكة جوارحهم، كانت مُقَدَّمة عن حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، لم يكن يعنيهم سوى ماذا حدث اليوم؟ وهل نجح المجاهدون في تلك المعركة أم لا؟ وماذا ينقصهم الأكل أم الشرب أم الدواء، فالعيون كلها مشرئبة تجاه الوطن، والمعارك الدائرة فيه.

كان الشاعر الشعبي يشارك بيده، وبصوته وقريحته إن عجز عن حمل السلاح، كان يرى أن من واجبه رفع الصوت عاليا، ولذلك كانت القصائد ومهما بلغ عدد أبياتها تحكي عن موضوع واحد فقط هو الثورة، فلا مجال للحديث عن العواطف، أو الحب، أو البيئة، أو المناخ، أو القضايا العالمية مثلا.

**1-4- حتمية الاستدعاء:**

الشاعر الشعبي الذي عايش أحداث الثورة وكتب عنها لم يكن أمامه خيار آخر، لم يكن يستطيع أن يرى الجرائم الوحشية للعدو الغاشم ويسكت، لم يكن يستطيع أمام الإبادة الجماعية التي تحدث أمام ناظريه أن يختار الصمت، أو الحياد، لذلك لم يترك موضوعا ذا علاقة بالثورة إلا وطرقه، ولذلك أغلب القصائد التي قيلت زمن الثورة كان موضوعها الثورة: «ومع أول رصاصة انطلقت في الفاتح نوفمبر اهتز وجدانهم بقصائد كثيرة قيلت في كل أرجاء الوطن، فحفظها الناس وأنشدها المجاهدون، وغناها كل وطنيّ غيور، لكنها في الأخير بقيت مادة تاريخية خصبة للمؤرخ والباحث في تاريخ الثورة»[10]. لقد تناول الشعراء الثورة كلّ من زاويته ووجهة نظره:

«طلعت بالقوة جات فازعة بعس ـاكر زفارة وطيابير يروجوا في السماء كنَعتْ الجردَان
قاع اللي لها ضاع خلفته في الشعب الغدارة وتلقط في الاحْباس عامرة باش خْلاَها ثـان
خَلاَّت البزْ يتيم من آباته ش ـــارب المـــرارة خلاّت الهجّالات بالدموع تسقي ويدان»[11].

فألم الفقدان، والتشرد، والقتل الوحشي، والزج بالمواطنين في السجون، وسياسة التجويع، والتعذيب، والتنكيل، كل هذه المظاهر حركت نفس الشاعر الشعبي، وأثارت شجونه، وأترحت قلبه، واعتصر لها فؤاده، فراحت قريحته تقرض الشعر عن الثورة دون توقف.

**1-5- أسباب الاستدعاء وغاياته:**

لم يكن إذن استدعاء الثورة في القصيدة الشعبية إبان الثورة عفويا، بل كان عمدا ومقصودا، لأسباب في غاية الأهمية؛ إذ لعبت القصيدة أدوارا هامة لا يستهان بها، وقدمت خدمات جليلة للثورة لا يمكن جحودها، ومن أهم هذه الخدمات:

**1-5-1- حشد الدعم:**

أخذت القصيدة الشعبية على عاتقها إيصال صوت الثورة واسماعه، وحشد الدعم على مختلف أنواعه: المادي (السلاح–الغذاء–الدواء)، والدعم البشري (غرس روح النضال بين صفوف المواطنين للالتحاق بإخوانهم المجاهدين والثوار)، والدعم المعنوي (من خلال رفع معنويات المجاهدين لأجل المزيد من الصبر والتحمل والجلد، ورفع معنويات الأرامل والثكالى وتصبيرهم على فقدان أزواجهم، وأبنائهم، وآبائهم وإخوانهم): «كانت كل القصائد تهدف إلى رصد كل أشكال النضال، التي تتصل بالمقاومة الجزائرية، وتأجيج مشاعر الجماهير، بتعبئتها وتحريضها، وشحذ الهمم وطاقاتها المادية والروحية التي تقود إلى الحرية والاستقلال، ونحو النضال والتحرر، بالوقوف مع رجال الثورة، ومحاولة غرس مبادئ الحق والحرية والعدالة في نفوس الجماهير، وتوجيه مشاعر العالم نحو التفاعل مع الثورة ومنجزاتها، فكانت صياغة تلك التجارب الشعرية من واقع قضايا الشعب وهمومه وأحلامه»[12]. ففي سبيل الوطن تبذل كل الجهود، ويرخص كل ما هو غال، إذ لا شيء أعز منه، والجزائري مستعد للتضحية من أجل جزائره بكل ما يملك:

«كفانا من حيـــاة الذل والعـــار وعمارنا رخسوا في سبيل الأوطان
لازم نكـــافحوا كبيـــر وصغيـــر والجهاد مطلـــوب في القرآن»[13].

ومن بين أشكال الدعم المعنوي نجد استشراف نهاية العدو، والتنبؤ بالانتصار القادم لا محالة، من باب تقوية النفوس، وحملها على الثبات:

«تفشل يا ديغول ما يبقالك نقاز يا رايس الجنود المفســـدا
يزل العناد منك يا حطـــب النار جثة بلا اعمر تبقى ممدودا
ينصر جيشنا ويذل الكـــــــفار بجاه من ركع في كل سجدا
تورختها يوم تـــــــسع عــشار نوفمبر شهر الشـــــــهدا»[14].

كانت القصائد تتوعد العدو بنهاية قريبة ومفجعة، يتبعها الخزي والعار، وتعد المجاهدين بنهاية مفرحة قريبة، يتبعها الفخر والاعتزاز، والتاريخ بأيامه وشهوره وسنواته سيظل شاهدا حيا لا يموت، على ما قام به الشهداء والمجاهدون في سبيل استرداد الوطن، والحفاظ على كرامة أبنائه، وبين الفينة والأخرى يذكر الشاعر إخوانه المجاهدين بالإنجازات المتتالية التي يحققها جيشهم، من أجل المواصلة على نفس الدرب:

«فرسان الجهاد بيهم تفتــخر ويهدوا للعدو مثل الصـــــقور
يخلوهم في الوطي مثل المشكر اتحزم يا شريف واستقعد للروم
فيهم يعجبني نهار لي يحضــر يتركهم في الوطي مثل الـــبقر
هذا جيفة وذاك في الظهر مكسر قل لي قل لي على الخاوة أنظار»[15].

كان الشاعر الشعبي يعرف سهولة ذيوع القصيدة الشعبية بين كل فئات المجتمع (نساء–أطفال–شيوخ)، فاتخذها وسيلة لطلب الدعم، ورفع الصوت، وإعلان الثورة، وتقوية للجبهة الداخلية، ولا أدل على ذلك من بلوغ صدى هذه القصائد لآذان المستعمر الذي حاربها بكل الطرق.

**1-5-2- التبليغ والإعلام:**

وجدت القصيدة الشعبية نفسها مضطرة لأن تلعب دور الصحيفة والمذياع والتلفاز، في ظل غياب وسائل الاتصال، والتضييق عليها من قبل المستعمر الفرنسي، بل كانت قناة للتواصل بين المجاهدين، ونقل الرسائل بينهم، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة المجاهدة "فاطمة المنصوري" التي تقول في بعض أبياتها:

« جواب البعايد من مبروك وصلنا واطلق سراحه يا إلهي لينا
عليـــــك الســـــــــلام وإن شـــاء الله يا إلـــــهي تـــــجملنا»[16].

لقد كانت القصائد تحمل بين طياتها رسائل صريحة أحيانا ومشفرة أحيانا أخرى، حسب طبيعة الرسالة، ولما انتبه المستعمر للدور الذي تقوم به هذه القصائد، ضيق على الشعراء الخناق، لكنهم استمروا دون خوف أو هوادة، حيث ردت "فاطمة المنصوري" على هذه التضييق بقولها:

« حالفة ما نبطل الأفتان كانش لريحنا الحرية
عنها نسكن في الأجبـــال ندوها بالفنـــــطازية
عنــها طلـــعنا لــلأوراس وتوطــنا في الأرياس
عينيا لا تعــرف النــعاس وطعم الرقدة لا يليق بيه»[17].

وتقصد بالأفتان هنا نقل الأخبار وإيصال الرسائل. فأخبار المجاهدين وما ينقصهم، وما حدث، وما سيحدث، وحجم الانتصارات وحجم الخسائر كل ذلك كان يصل عبر قناة القصيدة الشعبية:

«اختي حليمة ولابسة جنــديه قالو تلاقاو في الحاجة مغنية
داروا اجتماع داروه في عشاشة قتلوا الفسيان وداولو رشاشه
يقولو لما ما تبكـــــيش علـيا وقولو لما على الجهاد والحرية» [18].

لم تتوان القصيدة الشعبية عن نقل كل الأخبار المهمة، والرسائل العاجلة، وكما حَرص الشعراء على تضمينها رسائلهم، حرص المتلقون على إيصالها للآذان المعنية بها، ففي زمن الحصار والقتل لا تعجز القصيدة عن لعب أهم الأدوار، وأداء أصعب المهام.

**2- القصيدة الشعبية والمعالجة البَعدية للثورة التحريرية:**

رغم أن الثورة التحريرية انتهت منذ أكثر من اثنين وستين (62) سنة، ورغم أن الشعب الجزائري من وقتها ينعم بالاستقلال، إلا أن الثورة المباركة لم تغب عن القصيدة الشعبية المعاصرة؛ إذ لا زال الشاعر الشعبي المعاصر يتطرّق إليها إلى غاية يومنا هذا.

لكن القارئ للدواوين المعاصرة يرى أن الاختلاف بَيِّنٌ سواء في زوايا الطَّرق وأساليبه، أو أسباب الاستدعاء وغاياته، وديوان "شموخ جبل" للشاعر "البشير قذيفة" دليل حيّ على هذا الاختلاف؛ حيث إن الشاعر لم يكن حاضرا أثناء الثورة فهو من مواليد 1958م، أي أن عمره عند الاستقلال كان أربع سنوات، وكل ما يعرفه عن الثورة المباركة هو ما نُقل إليه من أخبار وروايات، وما حمله أرشيف التاريخ، فهو ليس شاهدا على أحداثها، ولا مشاركا فيها، ومع ذلك تحضر الثورة في ديوانه الآنف الذكر حضورا مائزا، لافتا للانتباه، ومثيرا للدهشة، ومن خلال ديوانه سنحاول الوقوف على أهم مميزات القصيدة الشعبية الثورية المعاصرة:

**2-1- مجازية التصوير:**

نظرا لكون الشاعر المعاصر ينطلق في معالجته لموضوع الثورة مما سمع وقرأ في كتب التاريخ والآثار الأدبية، ومهما كانت مصداقية الرواة، فإن المخيلة ستلعب دورها، حتى وإن كان بصدد نقل وقائع تاريخية، وسرد قصص حقيقية، سيكثر المجاز والصور البيانية بالمقارنة مع تلك التي قيلت في زمن الثورة:

« قص علينا اخبار عن ذاك الرعيـل وقول لهذا الجيل ماضيـنا كيـــفاش

ذوك لي رفعــو الـــــراية بـــتهليـــل ودارو غطاهم من السما والأرض فراش» [19].

فالشاعر عند نقله لبعض من معاناة المجاهدين في الجبال يجنح إلى المخيلة أكثر مما يميل للوصف الواقعي، فصور مبيتهم في العراء، وتوسدهم للحجارة والطين، صورة مطرزة بخيوط الخيال، حيث السماء لحافهم، والأرض فراشهم، وهي صورة فنية جميلة، تعكس صبر المجاهدين وقوة تحملهم رغم قساوة الظروف:

«وتكلم بارودهم في نص الليل وعزفوها نغمة على صوت الرشاش

الله أكبر جا انهارك يا دخيـــل علنوها ثورة وحلفو ما يبقـــــــاش

طل النور وراحت الظلمة والويل ويوم الفرحة راه قرب ما يبـــطاش» [20].

يشبه الشاعر هنا البارود بالإنسان الذي يتكلم، والاستعمار بالظلمة والويل، والاستقلال بالنور، وبأن يوم الاستقلال الموعود هو يوم الفرحة المنشودة، وكلها صور بيانية تعتمد على المخيلة، مؤكدا دائما بأن كل ما يقوله بخصوص الثورة سمعه ولم يره:

« قول عليهم قول وحكي بالتفصيل وخبرنا بلي احنا ما نعرفهاش»[21].

فقصائده عن الثورة وإن تعددت مصادرها، إلا أنها تبقى أحداثا لم يحضرها.

**2-2- التركيز على الأحداث الكبيرة:**

عندما ندقق في القصائد الشعبية المعاصرة التي تطرقت لموضوع الثورة يلفت انتباهنا غياب التفاصيل الدقيقة، على غرار ما تحتويه نظيرتها التي قيلت زمن الثورة، بل نجد التركيز على الأحداث البارزة، والوقائع المشهورة، والمعارك الضارية المُخَلَّدة، والمناطق التي شهدت حصة الأسد من النضال، فتُذكر كمعالم تميز الموضوع، ذلك أن الحصول على معلومات من مصادر خارجية تكون دائما قليلة بالمقارنة مع الذي يكون وسط الحدث، حيث يكون ملما بكل شاردة وواردة، هذا ما تؤكده الأحداث والمعالم المتكررة بين القصائد المعاصرة وعلى سبيل التمثيل:

«تكسر اسطولنا ذاك تعطب قصة نافـــارين عنا مقساها

لف وثمـنمية وثلاثين احسب مدينة سيدي فرج راها اداها» [22].

فمعركة نافارين الكل يعرفها، أضف إلى ذلك أن الشاعر المعاصر عند ذكر أبرز الأحداث المتعلقة بالثورة يميل إلى ذكرها بالعموم كتاريخ حدوثها، ومكانه، وقادتها لكن دون التفصيل في دقائق أمورها:

«الزعاطشة في الجنوب ابدات تحارب القايد بوزيـان جمع ملــقاها
ومـعزة في الونشـــريس خذ الواجـــب جمع للجـهاد قوة هيـــاهـــا
بوبـــغلة ثـــم المقـــــراني واحســـــب وبومرزاق وثورتو لا تنساها» [23].

**2-3- طواعية الاستدعاء:**

بخلاف الشاعر الشعبي الذي كان حاضرا أثناء الثورة، والذي كان لا يجد بُدا من الحديث عنها، نلفي الشاعر المعاصر يتحدث عنها طواعية، بإرادته واختياره، فهو ليس مجبرا ومع ذلك لا نعدم حديثا عنها في الدواوين الشعبية المعاصرة، وما ديوان "شموخ جبل" إلا واحدٌ منها، ففي قصيدته المعنونة بـ "يا ثورة"، وفي قصائد أخرى تحمل اسم "الجزائر" أو "ما ذلينا" أو "سبع حروف" لا يتوانى الشاعر عن استحضار الثورة، يذكرها وكأنها حدثت بالأمس فقط، يذكرها لأسباب وغايات سنتعرف عليها في العنصر الموالي.

**2-4- أسباب الاستدعاء وغاياته:**

الثورة المباركة، هذا الحدث العَصيُّ عن النسيان، الطاغي والمتجبر، يحضر بكل عنفوانه في ديوان "شموخ جبل" للبشير قذيفة. حيث اختلفت أسباب الاستدعاء، وتنوعت طرق التناول، وغايات الحديث تمايزت، وهو ما وقفنا عليه في أكثر من قصيدة، وسنحاول أن نعدد الأهم فقط.

**2-4-1- الفخر والاعتزاز:**

لم يكن إخراج المستعمر من بلدنا أمرا هينا، ولم يكن الثمن بسيطا، فأرواح المليون ونصف المليون شهيد، والعقود الطويلة من الجهود المتواصلة في ظل التعذيب والحرمان تفرض عليك أن تشعر بالامتنان، والفخر والزهو والتيه، تجاه الانتصار، واسترداد الحق المغتصب، في ظل ميزان قِوى غير متعادل، الفخر الذي بقينا نستشعره على مرّ السنين:

«ما ذلينا ما نحطوا راسنا يا من ظنيتوا السور يطيح
نوفمـــبر مـازال هو ساسنا وبناوه لبطال بني صحـيح
ديما عـالي كجـبل أوراسنا ما يتزعزع ما يهزوا ريـــح
مازال الفرسان فوق افراسنا ما ترشاش سروجنا وتميح
ومازال البارود في قرطاسنا وإذا قلنالوا يسيح يسيـــح» [24].

فالثورة التي غيّرت مسار أمة، وبقيت درسا خالدا في التاريخ لكل الأمم، العربية والغربية على حد سواء، والتي أخذ منها العبرة الكثير، واقتدى بها الكثير أيضا، تجبرك على ألّا تنسى، تُشعرك بالمجد، وتدفعك للفخر والاعتزاز بها كل ما ذكرتها.

**2-4-2- البقاء على العهد:**

يشعر "البشير قذيفة" وأمثاله كثر من الشعراء المعاصرين أن ما قدمه المجاهدون والثوار زمن الاستعمار يحتاج منا إلى الاعتراف بالفضل وردّ الجميل، ولا ردّ أفضل من الحفاظ على المكاسب، ومواصلة البناء والتشييد والتأسيس، فالعهد الذي قطعه الأجداد لهذا الوطن بحمايته والدفاع عنه بالنفس والنفيس نفسه تقطعه أجيال اليوم:

« درتك في قلبي ودرتك عينيـــا وبيك نفاخر كل ما رحت ووليت
كي نسهر في خاطرك موش مزية وكنتعب مقدار دينك ما وفـــيت
تبـــقى هي بالمحـــبة محظيـــة وتبقى هي دمعـتي لـــكان ابكيت

وتبـــــقى أنا حـــالتي هـــيا هـــيا كل ما يحتـــاجني وطـــني لبيت»[25].

فالشاعر يؤكد أننا على العهد باقون، وبه موفون، وسنظل كذلك إلى يوم يبعثون، ويكرر الشاعر ذلك تأكيدا منه على بقاء الأجيال على العهد:

«فرسانك حملو الزاد مع العُدّا والعاهد مازال ..لبطال ..توفيه

راهـم قلب فريد في وقت الشـدة ما توخر ياك شـــعبك كتدعيه

جيش وشعب احنا وكلمة وحدة سور الوحدة والوفاء عنك نبنيه

خاوة خاوة طـول رانا عالمبـدا جيل يخبر جيل عنك ويوصيه»[26].

وكما قدم السابقون أرواحهم فداء للوطن يؤكد الشاعر اليوم أن المبدأ لم يتغير، ولن يتغير، وأن أجيال اليوم هي كذلك مستعدة للتضحية بأرواحها وبأغلى ما تملك من أجل هذا الوطن:

«هي القلب وهي الظاهر والمكنون وهي لي عن جالها لرواح انمد» [27].

فالوقوف على أهبة الاستعداد للنضال والدفاع عن المكاسب التي خلفتها الثورة المباركة هو العهد الذي قطعه الشاعر على نفسه، مؤكدا على أنه لن يخلف الوعد، ولا الموعد:

«كي تنده عني نقولك هاني ليـك وبمشاعري محال ما هنت بلادي

نتحزم ونجيـــك ونـقـــول لبيـــــك ودائما وافي ما نخالف ميعادي» [28].

وحتى يبقى العهد قائما يجب ألا ننسى، لأن ما قدموه من جهود وتضحيات يستحق، ونحن يجب أن نكون مثلهم مستعدون لتقديم ما علينا وأكثر:

«يا ثورة مـــهما قلنا فيـــك قليـــل ومهما قلنا في ابطالك ما قلناش

ومهما مدحنا في خصايل ذاك الجيل في ظني ما زالـــنا ما وفـينـــاش

ما وفيـــنا حقـــهم فرســـان الخيـــــل وقصرنا في حقـــهم ما كملنـاش

ذوك رجـال النيـــف عدّالين المـــيل اكتب يا تاريخ عنهم ما تعيـاش» [29].

يعلنها الشاعر صراحة أن الحديث عما قدّموه لن يوفيهم حقهم، ولكنه لا يملك إلا قريحته وشاعريته فسخرها للاعتراف بفضلهم، والامتنان لهم، وضَرْب المثل بهم ليكونوا قدوة لغيرهم من أبناء أمتنا، وأبناء الأمم الأخرى.

**2-4-3- تذكير الأجيال حتى لا تنسى:**

تماما كما رأى الشاعر الشعبي في زمن الاستعمار أن من واجبه قرض الشعر للتبليغ والإعلام وحشد الدعم وغيرها، يرى الشاعر الشعبي المعاصر ونخص بالذكر "البشير قذيفة" اليوم أن من واجبه تذكير الأجيال بما قدمه الشهداء والمجاهدون من أجل أن تُرفع راية الوطن عاليا، ويجب أن تبقى الذكرى حية في نفوسنا، والعمل على بقائها كذلك:

«يا بنت احنا راسنا في العالي واحنا من بينا تـــقد المـــيل

ثـوار وما خان فيـنا والـــــــي سالي عنا اخبار ذاك الجيل

وسالي عنا اجبال شـــق جبالـي وسالي عن محارقة وكـحيل

وعن ثـــاني لـــوراس سالي سالي وتصيبي البـــرهان والدليـل»[30].

التذكير رسالة قوية حفاظا على الإنجازات والمكاسب وعدم التفريط فيها، التذكير واجب يجب القيام به وعدم التواني فيه، التذكير أمانة يجب أن تنتقل من جيل إلى جيل حتى لا ننسى.

**2-4-4- الوطن أمانة:**

كل ما مس الوطن في الماضي، وكل ما يمسه في الحاضر، وكل ما يمكن أن يمسه في المستقبل، أفراحه وأتراحه، هزائمه وانتصاراته، كلها موضوعات تهم الشاعر "البشير قذيفة" لأنها تمس الوطن، الذي قطعة من القلب، هو الحب الأبدي، الذي لا يزول بزوال المهج، لأنه يُورَّث من الآباء إلى الأبناء إنه أمانة في أعناقنا يجب المحافظة عليها:

«يا من حبك في ضلوعي يتنما وزايد يكـبر دايـما عـــام على عام
زال الهمّ وراحت أيـــام الظلـــمة طلعت شمسك ضاوية من بعد غيام
بفضل الله ورجال وزنــود وهــمة ولّا وجهـــك يـــا مّا ضـاحك بسّام
سِرْتِي من بيـن الدول فـوق القمة شعبك راه اليـــوم ينـعم بســـــلام»[31].

وكما أن هذا الحب قد غرس في نفس شاعرنا من قبل آبائه وأجداده، ها هو بدوره يؤدي الأمانة ويبلغ الرسالة لأبنائه؛ قصائد طوال عن الأرض والوطن يلهج بها لسان الشاعر منذ صباه وحتى اليوم، وفي كل المناسبات:

«شاعر ونحب الوطن وعليه نغير من صغري لحرار في قلبي غرسوه
كي يحزن هذا الوطن نحـزن ونحير وما نقبـــل حتى بكـــلمة لو مسوه
عليه نوصـــي اولادتي قبـل المسير كونوا في صف الوطن بالروح افدوه»[32].

يوصيهم بالحفاظ على هاته الأمانة التي ضحى من أجلها الأجداد، وبالدفاع عنها، وعدم التخلي عنها مهما كانت الأسباب، يطالبهم بالقيام بدورهم، وواجبهم، وأن يبلغوا بدورهم هذه الرسالة لأبنائهم، سيظل الدرس حيا لا يموت، وستصان الأمانة جيلا بعد جيل.

**خاتمـــــة:**

– كانت الثورة علامة فارقة في سماء القصيدة الشعبية التي ناضلت إلى جانب المجاهدين زمن الثورة، ورفعت راية البناء والتشييد زمن الاستقلال.

– حدّدت هذه الدراسة مفاصل البون، ووقفت على سمات الاختلاف، ورصدت العلامات التي ميزت القصيدة الثورية التي قيلت زمن الاستعمار عن نظيرتها التي قيلت زمن الاستقلال.

– أثبتت هذه الدراسة أن الاختلاف لم يولد من فراغ بل كانت له دواعيه الخاصة التي حتّمت ميلاده.

– لم تأت القصيدة الشعبية الثورية المعاصرة للتأريخ للثورة، ولا تأثرا بأحداث راهنة، بل جاءت فخرا واعتزازا، وحفاظا على الأمانة، ووفاء لعهد الشهداء، وإمضاء لوثيقة الاعتراف والامتنان.

– أثبتت القصيدة الشعبية بما لا يدع مجالا للشك بأنها نص قادر على احتواء نبض الأمم ووعيها، والتأثير فيها، فالقصيد الشعبيّ تزيد سطوته يوما بعد يوم.

– **الإحالات والهوامش:**

**1-** غيلاني، السبتي (2016)، الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة التحريرية 1954–1962، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الثامنة، العدد 24، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، ص 36.

**2-** بوسكاية، شهرزاد (2023)، الشعر الشعبي الثوري: قراءة في بعض المضامين والأدوات الفنية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 06، العدد01، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، ص 274.

**3-** طالبي، عبد القادر (2019)، الشاعر الشعبي وتسجيل أحداث الثورة الجزائرية (1962-1954)، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد 04، العدد 03، جامعة الفيوم، مصر، ص 146.

**4-** بوسكاية، شهرزاد، الشعر الشعبي الثوري: قراءة في بعض المضامين والأدوات الفنية، مرجع سابق، ص 276.

**5-** قشيش، فتيحة (2022)، الأغنية الشعبية والشعر الملحون مصدرا لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد 07، العدد 01، مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص 99.

**6-** كوسة، علاوة (2019)، الثورة التحريرية في القصيدة الشعبية الجزائرية المعاصرة، مجلة المعيار، المجلد 10، العدد 01، المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر، ص 17.

**7-** لولو، فايزة (2019)، الأغنية الشعبية ودورها في احتواء الثورة التحريرية دراسة في المضامين الفكرية والخصوصيات الجمالية، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، العدد 01، جامعة برج بوعريريج، الجزائر، ص 224.

**8-** غيلاني، السبتي، الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة التحريرية 1954-1962، مرجع سابق، ص 41.

**9-** كبريت، علي (2017)، الشعر الملحون ذاكرة الثورة الجزائرية، مجلة دراسات معاصرة، العدد 02، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، ص 43.

**10-** رافع، رضا (2022)، صورة الثورة الجزائرية من خلال التراث الشعبي الجزائري-الشعر الشعبي أنموذجا-، مجلة مقابسات في اللغة والأدب، المجلد 03، العدد01، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، ص ص 173، 174.

**11-** بركة، بوشيبة (2015)، انعكاس الثورة التحريرية في الشعر الشعبي، مجلة دراسات، العدد 08، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة بشار، الجزائر، ص 83.

**12-** هجرسي، خضراء، جويبة عبد الكامل (2020)، استلهام الثورة الجزائرية في الشعر العربي (القيم والأبعاد)، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 09، العدد 02، جامعة وهران 02، الجزائر، ص 173.

**13-** قشيش، فتيحة، الأغنية الشعبية والشعر الملحون مصدرا لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، مرجع سابق، ص 100.

**14-** كبريت، علي، الشعر الملحون ذاكرة الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 44.

**15-** قشيش، فتيحة، الأغنية الشعبية والشعر الملحون مصدرا لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، مرجع سابق، ص 100.

**16-** رافع، رضا، صورة الثورة الجزائرية من خلال التراث الشعبي الجزائري- الشعر الشعبي أنموذجا-، مرجع سابق، ص 184.

**17-** المرجع نفسه، ص 184.

**18-** كبريت، علي، الشعر الملحون ذاكرة الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 45.

**19-** قذيفة، البشير (2024)، شموخ جبل، دار جودة للنشر والتوزيع، ط 1، باتنة، الجزائر، ص 35.

**20-** المصدر نفسه، ص 35.

**21-** المصدر نفسه، ص 35.

**22-** المصدر نفسه، ص ص 37، 38.

**23-** المصدر نفسه، ص ص 38، 39.

**24-** المصدر نفسه، ص 12.

**25-** المصدر نفسه، ص 49.

**26-** المصدر نفسه، ص 27.

**27-** المصدر نفسه، ص 43.

**28-** المصدر نفسه، ص 43.

**29-** المصدر نفسه، ص 35.

**30-** المصدر نفسه، ص 23.

**31-** المصدر نفسه، ص 43.

**32-** المصدر نفسه، ص ص 84، 85.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**-المصادر:**

**1-** قذيفة، البشير (2024)، شموخ جبل، دار جودة للنشر والتوزيع، ط 1، باتنة، الجزائر.

**-المراجع:**

**- المجلات:**

**1-** بوسكاية، شهرزاد، الشعر الشعبي الثوري: قراءة في بعض المضامين والأدوات الفنية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، العدد01، المجلد 06، مارس، 2023 م.

**2-** بركة، بوشيبة، انعكاس الثورة التحريرية في الشعر الشعبي، مجلة دراسات، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة بشار، الجزائر، العدد 08، ديسمبر، 2015 م.

**3-** هجرسي، خضراء، جويبة عبد الكامل، استلهام الثورة الجزائرية في الشعر العربي (القيم والأبعاد)، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 02، الجزائر، العدد 02، المجلد 09، 16 فيفري، 2020 م.

**4-** طالبي، عبد القادر، الشاعر الشعبي وتسجيل أحداث الثورة الجزائرية (1962-1954)، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، جامعة الفيوم، مصر، العدد 03، المجلد 04، ديسمبر، 2019 م.

**5-** كبريت، علي، الشعر الملحون ذاكرة الثورة الجزائرية، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، العدد 02، جوان، 2017م.

**6-** كوسة، علاوة، الثورة التحريرية في القصيدة الشعبية الجزائرية المعاصرة، مجلة المعيار، المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر، العدد 01، المجلد 10، مارس، 2019م.

**7-** لولو، فايزة، الأغنية الشعبية ودورها في احتواء الثورة التحريرية دراسة في المضامين الفكرية والخصوصيات الجمالية، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، الجزائر، العدد 01، ديسمبر، 2019 م.

**8-** قشيش، فتيحة، الأغنية الشعبية والشعر الملحون مصدرا لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، العدد 01، المجلد 07، ماي، 2022 م.

**9-** رافع، رضا، صورة الثورة الجزائرية من خلال التراث الشعبي الجزائري-الشعر الشعبي أنموذجا-، مجلة مقابسات في اللغة والأدب، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، العدد01، المجلد 03، ديسمبر، 2022 م.

**10-** غيلاني السبتي، الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، السنة الثامنة، العدد 24، سبتمبر، 2016 م.